تحذير الراكع والساجد

من

بدعة زخرفة المساجد

تصنيف

أبي الفداء السيد بن عبد المقصود الأثري

دار الجيل

بيروت

تحذير الراكع والساجد

من

بدعة زخرفة المساجد

تصنيف

أبي الفداء السيد بن عبد المقصود الأثري

دار الجيل

بيروت

الطبعة الأولى
١٤١١هـ - ١٩٩١م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ وعلى أزواجه وآل بيته الطاهرين.

أما بعد:

فلا يخفى على البصير بأمر دينه ما يعانيه الإسلام من معتنقيه، فتن في كل مكان، شريعة معطلة، وسنة متروكة، وشرور وفجور، وبدع وضلالات، وانغماس في الشهوات، ووقوع في المخالفات.

وقد امتدت هذه البدع حتى دخلت أماكن العبادة، فقلما تجد مسجداً من المساجد خلا من البدع....

وإن من بين هذه البدع التي دخلت على مساجد رب العالمين: الزخرفة والتشييد والتي لا يقرها شرع ولا دين ولا كتاب ولا سنة، وفوق كل ذلك تجد الأموال تنفق في الزخارف والزينة ببذخ وثراء بدعوى أن ذلك من تعظيم بيوت الله... حتى لقد سمعنا من يوصي من تركته بجزء من ماله لمثل هذه الزخرفة وربما يجني بذلك على الورثة، ومن العجيب أن الناس قد ألفوا مثل هذه البدع وكأنها سنن تتبع فانقلبت عندهم الموازين فصارت فيهم السنة بدعة، والبدعة سنة ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وصدق ابن مسعود رضي الله عنه إذ يقول:

«كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يهرم فيها الكبير ويربو فيها الصغير ويتخذها الناس سنة، إذا تُرِكَ منها شيء قيل تركت السنة. قالوا: ومتى ذاك؟ قال: إذا

ذهبت علمائكم وكثرت قراؤكم، وقلت فقهاؤكم، وكثرت أمرائكم، وقلت أمناؤكم، والتمست الدنيا بعمل الآخرة، وتفقه لغير الدين»(١).

وكلما انتشرت هذه البدع والمخالفات انحسرت السنة واختفت أعلامها(٢).

وذلك كله إن دققت النظر - أكبر أسبابه غياب الوعي الإسلامي بين الناس والتناصح فيما بينهم والتواصي بالحق والتواصي بالصبر والتعاون على البر والتقوى.

وهذه الرسالة الصغيرة حاولت أن أجمع فيها الأدلة على بدعية هذه الزخرفة الحادثة وما ينجم عنها من نتائج وخيمة، ومن تأثير على دين المسلمين وعلى عبادتهم.

والله تعالى أسأل أن يجعل عملي كله صالحاً ولوجهه خالصاً ولا يجعل لأحد فيه شيئاً وأن يكتب لي أجر هذه الرسالة ومثله لمن ساعد في نشرها ولقارئها ومن دعا الناس إلى ما فيها من ذم للبدعة وإحياء للسنة.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت. أستغفرك وأتوب إليك.

وكتب

أبو الفداء

السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم

الإسماعيلية ١٩ محرم سنة ١٤٠٨ هـ

١٩٨٧/٩/١٢ م

---

(١) رواه الدارمي [١/٦٠] باسنادين أحدهما صحيح والثاني حسن، والحاكم [٤/٥١٤]. وصححه الألباني في صلاة التراويح ص (٥) وقال: «وهذا الأثر وإن كان موقوفاً فهو في حكم المرفوع لأن فيه من التحدث عن أمور غيبية لا تقال إلا بالوحي فهو من أعلام نبوته ﷺ وقد تحققت كل جملة فيه كما هو مشاهد وخاصة فيما يتعلق بالسنة والبدعة...» أ. هـ

(٢) وصدق الإمام حسان بن عطية - أحد ثقات التابعين - فيما رواه عنه الدارمي [١/٤٥] بإسناد صحيح قال: «ما ابتدع قوم بدعة في دينهم إلا نزع من سنتهم مثلها ثم لا يعيدها إليهم إلى يوم القيامة».

فصل في الاتباع

* اعلم أيها المسلم أن الله تعالى أمر عباده فيما أمرهم بطاعته وطاعة رسوله ﷺ ، وجعل ميزان الأعمال كلها الكتاب والسنة، وأمر الناس برد التنازع والاختلاف إلى كتابه وهدي نبيه ﷺ ، وجعل التسليم المطلق والإيمان الكامل لمن رضى بحكم رسول الله ﷺ ، وحرَّم على الناس أن يُقدّموا شيئاً من أقوالهم وأفعالهم على قوله سبحانه وقول رسوله ﷺ وهاك الدليل والبرهان:

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ومَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُواْ ﴾ [الحشر: آية ٧].

وقال: ﴿ يَآ أَيُّهَا الَّذينَ ءَامَنُواْ أَطيعُواْ اللَّهَ وَأَطيعُواْ الرَّسُولَ وَأُولِي الأمرِ منكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ في شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَومِ الأَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ [النساء: آية ٥٩].

وقال: ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُواْ في أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ ويُسَلِّمُواْ تَسليماً ﴾ [النساء: آية ٦٥].

وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذينَ ءَامَنُواْ لا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الحجرات: آية ١].

* فالمسلم الحق لا يُقدم علي أمر الله ورسوله رأياً مذهبياً، ولا حكماً عقلياً، ولا حكماً سياسياً، ولا ذوقاً، ولا تصوراً، ولا عادة، ولا عُرفاً اجتماعياً، ولقد قال رسول الله ﷺ : «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى! قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى»(١).

وقال: «تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله، وسنتي

(١) رواه البخاري [٧٢٨٠] من حديث أبي هريرة رضى الله عنه.

ولن يفترقا حتى يردا على الحوض»[1].

وقد بيّن أن كل عمل بخلاف عمله فهو باطل لا يصح فقال: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ» [2].

فلعل في هذه الأدلة السابقة من الكتاب والسنة مقنع لمن أراد طريق الخير ولمن أراد الهداية والاعتصام من الضلال.

قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه: «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم» [3].

* ثم اعلم أيها القارىء الكريم: أن العمل حتى يُقْبلَ عند الله لا بد فيه من شرطين: أولاهما: الإخلاص ودليل ذلك قوله عز وجل: ﴿ وَمَآ أُمِرُوا إِلا لِيعبدُواْ اللَّه مُخْلصِينَ لهُ الدِّينَ حُنفَآءَ ﴾ [البينة: آية ٥].

وقوله: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّه فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبادَةَ ربَهِّ أَحَداً ﴾ [الكهف: آية ١١٠].

وقوله ﷺ: «إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً وابتغى به وجهه»[4].

وثانيهما: أن يكون صواباً أي موافقاً للسنة غير مخالف لها.

وقال السيد الجليل الإمام الفضيل بن عياض في تفسير قوله تعالى: ﴿ لِيبَلوكُم أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ [الملك: آية ٢] قال: «أخلصه وأصوبه»[5].

---

(١) رواه الدارقطني [٤/٢٤٥] وغيره من حديث أبي هريرة رضى الله عنه وصححه الألباني في صحيح الجامع [٣٢٢٧].

(٢) رواه مسلم [١٧١٨] [١٨] بهذا اللفظ من حديث عائشة رضى الله عنها.

(٣) رواه الدارمي [١/٦٩] والطبراني في الكبير [٨٨٧٠] وقال الهيثمي في المجمع [١/١٨١]: «رجاله رجال الصحيح» وصححه الألباني في العلم لأبي خيثمة [٥٤].

(٤) رواه النسائي [٢/٥٩] من حديث أبي أمامة رضى الله عنه. وحسنه الحافظ العراقي في تخريج الإحياء [٤/٣٨٤] وحسنه الألباني في الصحيحة [٥٤].

(٥) راجع جامع العلوم والحكم للحافظ ابن رجب ص [١٤, ١٥].

وقال: «إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً وصواباً».

قال: «والخالص إذا كان لله عز وجل، والصواب إذا كان على السنة»[1].

* ومن هنا تدرك أيها المسلم الكريم خطأ بعض الناس الذين يُعَوِّلُونَ علي النية وحدها، ويتركون العمل على هدى رسول الله ﷺ، بل ربما يتركون الصلوات ويحتجون بأن نواياهم حسنة، وأنهم يفعلون خيرات أخرى....

ولهؤلاء نقول: قال رسول الله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى...» الحديث.[2].

قال العلامة ابن القيم في مدارج السالكين: «إنما الأعمال الصالحة بالنيات الخالصة، والنية الحسنة لا تجعل الباطل حسناً لأن النية وحدها لا تكفي لتصحيح الفعل فلا بد أن ينضم إليها التقيد بالشرع»[3].

إذا عرفت هذا فعليك إذاً بالتَّقيُّد بالشرع كتاباً وسنة واعرض قولك وعملك عليهما ولا تخرج عنهما فإن في الخروج عنهما ضلال مبين.

* * *

(١) راجع جامع العلوم والحكم للحافظ ابن رجب ص [١٤، ١٥].
(٢) رواه البخاري [٦٩٥٣] ومسلم [١٩٠٧] [١٥٥] من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقد عظم العلماء شأن هذا الحديث فافتتح به أكثرهم كتبهم وقد شرحه شيخ الإسلام ابن تيمية شرحاً وافياً فارجع إليه.
(٣) مدارج السالكين [١/ ٨٥].

فصل في فضل بناء المساجد

اقتضت حكمة اللّه تعالى أن يفضل بعض الشهور على بعض، وبعض الأيام على بعض، وبعض الساعات على بعض، وبعض النبيين على بعض، وبعض الأماكن على بعض (١).

فله سبحانه الحكمة الباهرة، والقدرة الظاهرة.

ولقد اختار اللّه تعالى المساجد لتكون بيوته في الأرض ليقام فيها ذكره ويسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر اللّه وإقام الصلاة.

ومما يبين شرفها أن اللّه تعالى أضافها إلى نفسه إضافة تشريف فقال: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن: آية ١٨].

قال العلامة الألوسي: «والمعنى: أن اللّه تعالي يحب أن يوحد ولا يشرك به أحد فإن لم يوحدوه في سائر المواضع فلا يدعوا معه أحداً في المساجد، لأن المساجد له سبحانه مختصة به عز وجل فالإشراك فيها أقبح وأقبح» (٢).

وقد قال النبي ﷺ: «أحب البلاد إلى اللّه مساجدها وأبغض البلاد إلى اللّه أسواقها» (٣).

* ولقد كان المسجد على عهد رسول اللّه ﷺ مصدر نور وإشعاع، كان مدرسة للتربية الروحية، كان مدرسة للتربية البدنية، كان مكاناً للتخطيط الحربي، كان مكاناً تنطلق منه أوامر اللّه ورسوله ﷺ.

وحيث أن المساجد بيوت اللّه في الأرض سن بناؤها، وتعاهدها بالحفظ

(١) راجع زاد المعاد لابن القيم رحمه اللّه [١/٤٢ ، ٤٣].

(٢) روح المعاني [٢٩/٩١].

(٣) رواه مسلم [٦٧١] ، [٢٨٨] من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه.

والرعاية والنظافة (١) ، فإن ثواب بانيها كبير عند اللّه عز وجل بشرط أن يكون بناؤه للمسجد خالصاً لوجه اللّه تعالي لا يريد سمعة ولا رياءً ولا شهرة ولا مباهاة ولا مفاخرة، وشرط الإخلاص هذا شرط مطرد في كل الأعمال كما سبق بيانه عند الكلام على الاتباع.

كما أن هذا البناء لا بد أن يكون من مال حلال لقوله ﷺ : «إن اللّه طيبٌ لا يقبل إلا طيباً...» (٢).

وقال ﷺ : «من بنى للّه مسجداً بنى اللّه له مثله في الجنة».

وفي رواية: «يبتغي به وجه اللّه»(٣).

وهذا التقييد الموجود في الحديث يدل على أن الباني للرياء والسمعة والمباهاة ليس بانياً للّه، والأجر المذكور في الحديث يحصل ببناء المسجد ابتغاء وجه اللّه تعالي كما مر بك.

* وبناء المسجد من الافعال الخيرية المتعدية وهذه الأفعال المتعدية الإخلاص فيها عزيز جداً ولهذا يقول سهل بن عبد اللّه التستري: «ما عالجت شيئاً أشد على نفسي من الإخلاص، لأنه ليس للنفس فيه نصيبٌ» (٤).

قال العلامة ابن رجب رحمه اللّه: «وقد يصدر (أي الرياء) في الصدقة الواجبة والحج وغيرهما من الأعمال الظاهرة والتي يتعدى نفعها فإن الإخلاص

(١) المجموع للنووي [٢/١٨٥] وقال الشوكاني في نيل الأوطار [٢/٢١٢]: «والظاهر أن الأمر ببناء المسجد للندب لحديث: «جعلت لنا الأرض مسجداً...» وحديث: «أينما أدركت الصلاة فصل...».

(٢) جزء من حديث أوله: «أيها الناس إن اللّه طيب...» الحديث. رواه مسلم [١٠١٥] [٦٥]من حديث أبي هريرة رضى اللّه عنه.

(٣) رواه البخاري [٤٥٠] ومسلم [٥٣٣] [٢٤] من حديث عثمان بن عفان رضى اللّه عنه.

(٤) جامع العلوم والحكم لابن رجب ص [٢١].

فيها عزيز» أ.هـ [1].

* ولا يتوقف هذا الثواب والفضل على كون المسجد كبيراً، فإن الأجر المذكور يحصل للباني سواء كان المسجد الذي بناه صغيراً أو كبيراً لأن قوله ﷺ: «من بنى لله مسجداً...» يدل على ذلك.

قال الإمام الشوكاني رحمه الله: «يدل على أن الأجر المذكور يحصل ببناء المسجد لا بجعل الأرض مسجداً من غير بناء وأنه لا يكفي في ذلك تحويطه من غير حصول مسمى البناء، والتنكير في مسجد للشيوع فيدخل فيه الكبير والصغير»[2].

قال الإمام النووي رحمه الله: «وهذا البيت والله أعلم (أي البيت المذكور في الحديث) مثل بيت خديجة الذي قال فيه انه من قصب[3] يريد أنه من قصب الزمرد والياقوت» أ. هـ.

* ومما يبين فضل بناء المساجد أن بناءها من الأعمال التي تلحق المؤمن بعد موته فيجري له ثواب ذلك إلى يوم يبعثون.

قال ﷺ: «إن مما يلحق المؤمن بعد موته: ....» الحديث وفيه: «أو مسجداً بناه»[4]

فجدير بالمسلم أن يقوم بمثل هذه الأعمال ويكثر منها حتى يكتب له أجرها إلى يوم القيامة.

---

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب ص (١٣).

(٢) نيل الأوطار [٢/٢١٣].

(٣) يشير إلي قوله ﷺ: «بشر خديجة ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب» رواه البخاري [٧/١٠٤] ومسلم [٢٤٣٣] من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضى الله عنه.

(٤) رواه ابن ماجه [٢٤٢] وغيره من حديث أبي هريرة رضى الله عنه وقال البوصيري في الزوائد: «إسناده غريب ومرزوق مختلف فيه» وقد حسن المنذري الحديث في الترغيب والترهيب وكذا الألباني في أحكام الجنائز ص [١٧٧].

وصف مسجد الرسول ﷺ في عهده

وقصة حدوث الزخرفة

* لما قدم رسول الله ﷺ المدينة ثامن بني النجار [1] على أرض كانت مملوكة لهم فطلبوا ثوابها من الله تعالى وكانت هذه الأرض فيها خرب ومقبرة للمشركين ونخل، فأمر رسول الله ﷺ بالنخل فجذ وقطع وبالمقبرة أن تنبش ثم قام ببناء المسجد مع أصحابه وجعل سقفه بجذوع النخل ولم يكن رسول الله ﷺ يهتم بالشكليات التي صنعها الناس اليوم في المساجد بل كان حريصاً على رضى الله تعالى.

وقد كثر المطر حتى أثر في سقف المسجد فعرض الصحابة على رسول الله ﷺ أن يبنوه بناءً حديثاً فقال لهم: «ابنوه عريشاً كعريش موسى».

وقيل للحسن البصري رحمه الله: وما عريش موسى؟. قال: إذا رفع يده بلغ العريش. يعنى السقف» [2]

* أرأيت أيها القارىء العزيز هذه الصورة المتواضعة التي كان عليها مسجد رسول الله ﷺ فلا زخارف ولا تشييد ولا تزويق.

وهذا المسجد بصورته المتواضعة أخرج رجالاً أبطالاً فتحوا الدنيا وعمروها بالتوحيد.

* ثم إنه بعد وفاة رسول الله ﷺ لم يحدث تغيير في عهد أبي بكر الصديق رضى الله عنه....

* وجاء عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقام بتوسيع المسجد من ثلاثة

---

(١) رواه البخاري [٢٨] مطولاً من حديث أنس رضى الله عنه.

(٢) رواه ابن أبي شيبة بسند صحيح مرسلاً عن الحسن البصري رحمه الله وللحديث شواهد وطرق موصولة أوردها الألباني في السلسلة الصحيحة.[٦٦٦] وحسن الحديث بها.

جوانب، وترك الجانب الذي فيه الحجرة النبوية فلم يدخلها في المسجد[1] وقال رضى اللّه عنه للعامل: «أكن الناس من المطر، وإياك أن تحمر أو تصفر فتفتن الناس»[2].

فأمره أن يصنع للناس ما يسترهم من المطر ويحفظهم ثم حذره ونهاه أن يُلَوِّن أو يزخرف.

ونحن نعلم أن الفتوحات كثرت في عهد عمر رضى اللّه عنه فلو استطاع رضى اللّه عنه أن يبني المسجد لبنة من ذهب وأخرى من فضة لفعل، لكثرة الأموال التي غنمها المسلمون من الأعداء.

قال العلامة المناوي رحمه اللّه: «وقد كان عمر مع كثرة الفتوح في أيامه وسعة المال عنده لم يغير المسجد عما كان عليه»[3] أ. هـ.

ولكنه رضى اللّه عنه كان أحرص ما يكون علي اتباع رسول اللّه ﷺ فرضي اللّه عنه وجزاه خيراً علي حسن اتباعه.

ومضى المسجد على ذلك إلى أن جاء عهد الخليفة الثالث عثمان رضى اللّه عنه فقام ببناء المسجد بالحجارة المنقوشة وجعل سقفه ساجاً ووسع فيه أيضاً وترك جانب الحجرة فلم يوسعه من ناحيته لئلا يدخل قبر رسول اللّه ﷺ في المسجد.

---

(١) لأنه يعلم أن النبى ﷺ قال: «لعنة اللّه على اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد» رواه البخاري [٤٣٥] من حديث عائشة وابن عباس رضي اللّه عنهم.

(٢) ذكره البخاري معلقاً [١/٥٣٩ فتح] وقال الحافظ: «وهو طرف من قصة في تجديد المسجد النبوي. وقال نقلاً عن ابن بطال: «كأن عمر فهم ذلك من رد الشارع الخميصة إلى أبي جهم من أجل الأعلام التي فيها وقال: إنها «ألهتني عن صلاتي» قلت [القائل الحافظ ابن حجر] ويحتمل أن يكون عند عمر من ذلك علم خاص بهذه المسألة فقد روى ابن ماجة من طريق عمرو بن ميمون عن عمر مرفوعاً: «ما ساء عمل قوم قط إلا زخرفوا مساجدهم» ورجاله ثقات إلا شيخه جبارة بن المغلس ففيه مقال» أ.هـ. قلت: لكن البوصيري في الزوائد قال: «في إسناده أبو اسحاق كان يدلس وجبارة كذاب» أ.هـ . قلت: كذبه ابن معين كما في الميزان [١/٣٨٧] والحديث ضعفه الألباني في ضعيف الجامع [٥٠٧٧].

(٣) فيض القدير [٥/٤٢٦].

ومع هذا البناء الذي بناه عثمان رضى الله عنه بما لا يقتضى زخرفة ولا تشييداً إلا أن الصحابة كرهوا ذلك [1]، لأنهم أرادوا أن يكون المسجد على صورته التي كان عليها في عهد النبي ﷺ .....

* وجاء عصر الوليد بن عبد الملك بن مروان وكان محباً لبناء المساجد ومكثراً منها. فأرسل إلى عامله على المدينة في ذلك الوقت عمر بن عبد العزيز [2] رحمه الله أن يقوم بتوسيع المسجد أكثر وأن يدخل الحجرة النبوية فيه، فجمع عمر أهل العلم وشاورهم فكرهوا ما قاله الوليد فأرسل عمر إلى الوليد بما قاله أهل العلم فلم يخضع الوليد لكلامهم ولم يأخذ برأيهم ومشورتهم وأمر عمر أن ينفذ ما أمره به وأن يعطي كل صاحب منزل بجوار المسجد عوضاً عن منزله مالاً حتى يتمكن من توسيع المسجد بأراضيهم ومنازلهم التي حول المسجد.

ثم أمر الوليد بزخرفة المسجد النبوي وتزويقه وتلوينه وقد أنفق عليه الأموال الطائلة.

وهكذا كان الوليد أول من أدخل القبر في المسجد، وأول من أمر بزخرفته قال المناوي رحمه الله: «وأول من زخرف المساجد الوليد بن عبد الملك وسكت كثير من السلف عنه خوف الفتنة»[3] أ.هـ.

ولم يكن هذا الصنيع كما رأيت بمشورة أهل العلم بل ضرب الوليد بفتواهم عرض الحائط ونفذ ما أراد فابتدع سامحه الله بدعتين:

١- إدخال القبر في المسجد.

٢- زخرفة الحرمين.

---

(١) البخاري [٤٥٣/١] ومسلم [٥٣٣] [٢٥] من حديث محمود بن لبيد رضى الله عنه وهو من صغار الصحابة.

(٢) راجع البداية والنهاية لابن كثير [٧٥/٩].

(٣) فيض القدير [٤٢٦/٥] ونقله الحافظ في الفتح [٥٤٠/١] من قول ابن بطال رحمه الله.

* ثم جاء كل من بعده من الولاة وأكثروا من هذه الزخارف الذهبية والفضية وغيرها ثم انتشرت هذه البدع بعد ذلك في معظم مساجد الدنيا فإلى الله المشتكي وهو المستعان.

الخلاصة:

يتبين لنا من هذا السرد التاريخي السريع لقصة المسجد النبوي وبنائه الأمور التالية:

أولاً: أن أصحاب رسول الله ﷺ لم يقوموا بهذه الزخرفة المزعومة.

ثانياً: أن أول من أحدث الزخارف والتشييد هو الوليد بن عبد الملك ولم يكن بمؤاذنة لأهل العلم ولا مشورة لأهل الفضل.

ثالثاً: أن أول من أدخل القبر في المسجد هو الوليد بن عبد الملك وكره الناس منه الأمرين أعني الزخرفة وإدخال القبر في المسجد.[1]

رابعاً: أن إنكار الصحابة على عثمان لا على التوسعة وإنما لاستخدامه حجارة منقوشة في الأعمدة وإلا فقد وسع المسجد من قبله الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

* * *

(١) وقد احتج بهذه البدعة كثير من الناس اليوم على جواز إدخال القبر في المسجد حتى ألف بعض المتأخرين من المعاصرين كتاباً في ذلك سامحه الله سماه: «إحياء المقبور من أدلة بناء المساجد والقباب على القبور» وقد رد عليه الشيخ الألباني في كتابه العظيم: تحذير

فصل في معنى الزخرفة والتشييد الحادثين

الزخرفة: تطلق ويراد بها الزينة أو الذهب.

قال ابن منظور: «الزخرفة هي الزينة قال ابن سيده: الزخرف الذهب هذا الأصل ثم سمى كل زينة زخرفاً ثم شُبِّه كل مموه مُزور به، وبيت مزخرف وزخرف البيت زخرفة زينه وأكمله وكل ما زُوق وزُين فقد زُخْرِف... وزوقت الكلام والكتاب حسنته وقومته»(١) أ.هـ.

قال الحافظ في الفتح: « الزخرفة: الزينة وأصل الزخرف الذهب ثم استعمل في كل ما يتزين به»(٢).

فالزخرفة إذن تعني: وضع الزينة في المسجد بأي صورة من الصور فلو زينت جدرانه بالذهب والفضة دخل في الزخرفة وكذا لو نقشت جدرانه بالألوان والأصباغ كما هو مشاهد اليوم لصدق علي ذلك اسم الزخرفة وكذا لو وضع في المسجد تصاوير فهي من أنواع الزخرفة وكذا السجاد المنقوش والثريات الباهظة الأثمان والقناديل الذهبية والستائر على المنابر والمقاصير كل ذلك يدخل في الزخرفة المنهي عنها كما ستعرف بعد قليل.

وكذلك وضع القناديل على منارات المساجد في الاحتفالات وغيرها يدخل في معنى الزخرفة.

التَشْيِيدُ: المراد به تطويل البناء وارتفاعه.

قال أبو عبيد: «يقال أشَدتُ البناء فهو مشاد وشيدته فهو مُشيَّد إذا رفعته وأطلته» (٣) أ.هـ.

(١) لسان العرب [١٨٢١] مادة: زخرف.
(٢) فتح الباري [١/٥٤٠].
(٣) غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام [٣/١٢٩].

وتشييد البناء: إحكامه ورفعه (١)

وأما الشِيدُ: فهو الجص ومنه قوله تعالى ﴿ وقصر مشيد ﴾ [الحج: ٤٥] أي معمول بالجص.

والإشادة: رفع الصوت بالشيء (٢) .

وقال البغوي رحمه الله: والمراد من التشييد: رفع البناء وتطويله ومنه قوله سبحانه: ﴿ في بروجٍ مشيَّدةٍ ﴾ [النساء: آية ٧٨]. وهي التي طُوِّلَ بناؤها » (٣) أ.هـ.

والتشييد ذريعة إلى الزخرفة كما فُسِّرَ قوله ﷺ : «ما أمرت بتشييد المساجد» (٤) .

بأن المعنى: ما أمرت بالتشييد ليجعل ذريعة إلى الزخرفة »(٥) .

ويدخل في التشييد هذه المآذن المرتفعة والقباب العالية والأسقف المرتفعة جداً في المساجد حتى يتدلى منها النجف والثريات...

---

(١) لسان العرب [٢٣٧٤] مادة: شيد.
(٢) مجمل اللغة لابن فارس [٥/٥١٨].
(٣) شرح السنة [٢/٣٤٩].
(٤) يأتي تخريجه ص١٧.
(٥) نقله الحافظ في الفتح عن الطيبي وأيده [١/٥٤٠] وهكذا قال أيضاً المناوي في فيض القدير [٥/٤٢٦].

حكم الزخرفة والتشييد وأدلة بدعيتهما

يتبين من خلال الأدلة التي سنسوقها أن الزخرفة والتشييد الحادثين بدعة لا شك فيها وفاعلها مخالف لهدي رسول الله ﷺ وإليك الدليل علي ذلك.

الدليل الأول: الله عز وجل لم يأمر نبيه ﷺ بشتييد المساجد

وقد ورد في ذلك حديث صريح عن النبي ﷺ قال: «ما أمرت بتشييد المساجد»(١) .

قال الصنعاني رحمه الله: «وقوله ﷺ «ما أمرت» إشعار بأنه لا يحسن ذلك فإنه لو كان حسناً لأمره الله به»(٢) أ.هـ.

وتشييدها هو رفع بنائها وزخرفتها.

قال العلامة المناوي رحمه الله: «أي ما أمرت برفع بنائها ليجعل ذريعة إلي الزخرفة والتزيين الذي هو من فعل أهل الكتاب وفيه نوع توبيخ وتأنيب» (٣) أ.هـ.

فأين الناس اليوم من هذا الحديث؟!

قال الصنعاني أيضاً: «والحديث ظاهر الكراهة أو التحريم لقول ابن عباس: «لَتُزخرفنها كما زخرفتها اليهود والنصارى» (٤) لأن التشبه بهم محرم وذلك أنه ليس المقصود من بناء المساجد إلا أن تكن الناس من الحر والبرد، وتزينها يشغل القلوب عن الخشوع الذي هو روح جسم العبادة»(٥) أ.هـ.

---

(١) رواه أبو داود [٤٤٨] والبغوي في شرح السنة [٣٤٨/٢] من حديث ابن عباس رضى الله عنهما وصححه الألباني في صحيح الجامع [٥٥٥٠] والأرناؤوط في شرح السنة [٣٤٨/٢].

(٢) سبل السلام [٢٦٥/١].

(٣) فيض القدير [٤٣٦/٥].

(٤) يأتي تخريجه ص ٢٥.

(٥) سبل السلام [٢٦٥/١].

الدليل الثاني: الوعيد الشديد بحلول الدمار لمن زخرف المساجد

فقد ورد عن أبي الدرداء رضى الله عنه قال: «إذا زخرفتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم»(١)

قال االإمام المناوي: «أي حسنتموها بالنقش والتزويق... وقوله فالدمار عليكم دعاء أو خبر» (٢) أ.هـ

فأنت ترى أيها القاريء الكريم في هذا الحديث أن مما يسبب الدمار ـ إن قلنا ان الحديث من باب الخبر ـ ومما يسبب غضب الجبار تبارك وتعالى هذه الأشياء التي تخالف ما جاء عن النبي المختار ﷺ، بل ان التفريط في السنة مما يضعف المسلمين أمام أعدائهم ويطمع الأعداء فيهم وما أكثر السنن التي فرط فيها الناس؟!

وإذا كان الرسول ﷺ في هذا الحديث يخبر أن الدمار يحل بالمسلمين إذا فعلوا هذه الأشياء فإن هذا الإخبار كفيل بأن نبتعد عن هذه البدع الخطيرة.

ولا يبعد أن يكون الحديث من باب الدعاء، وبذلك فإن من صنع هذه المخالفات لحقه دعاء النبي ﷺ بالدمار.

وإن من مساويء هذه البدع الحادثة مثل الزخرفة ونحوها أنها جرت إلي بلاد المسلمين الصليبين والملاحدة فدخلوا المساجد بحجة أنهم يتمتعون برؤية الفنون الإسلامية المعمارية.

وهذه الفنون والزخارف التي ينسبونها إلى الإسلام ظلماً وزوراً لم تكن

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد [٧٩٧] عن أبي الدرداء موقوفاً وله حكم الرفع إلى النبي ﷺ ونسبه السيوطي في الجامع الصغير للحكيم الترمذي في نوادر الأصول. وقد ورد مرسلاً من حديث سعيد بن أبي سعيد المقبري ولفظه: «إذا زوقتم ...» ورواه ابن أبي شيبة [٣٠٩/١] وهذا مرسل حسن كما قال الألباني في الصحيحة [١٣٥١] و الطريقين يقوي الحديث ولذا صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير [٥٨٥].

(٢) فيض القدير [٣٦٦/١].

معروفة عند المسلمين الأوائل من الصحابة والتابعين وإنما زادت في عصور الفاطميين والتي انتشرت في أيامهم بدع كثيرة...

فقل لي بربك: المسلم المكلف بالصلاة والصوم ونشر دين الله في الأرض ونفع الناس في كل خير هل وقته يضيع في زخرفة باب أو عمود طيلة سنين ليل نهار؟ وكأن الوقت عنده لا شيء يضيع هباءً منثوراً في هذه التفاهات!!

وكأن هذه المساجد قد تحولت إلى متاحف حتى بلغ الأمر من هؤلاء السياح من الصليبيين والملاحدة أنهم يدخلون المساجد في ملابس شبه عارية ويمرون أمام المصلين وهم يصلون وكأن المسلمين تحولوا إلى تحف!! سبحانك هذا بهتان عظيم!

ومن ضمن هذه الأشياء المهينة التي تحدث في مساجد رب العالمين من تبرج وسفور السياح من النساء الأجانب ومن إدخالهم آلات التصوير في المساجد ليصوروا بها داخل المسجد فلا يراعون أنهم سمحوا لمثل هؤلاء الملاحدة أن يتجولوا فيه ويقوموا بالتقاط المناظر وربما صور بعضهم المصلين وهم يركعون ويسجدون كل هذا بدعوى تنشيط السياحة تباً، ودعوى زيادة الدخل القومي فهل يُعقل هذا يا أولي الألباب؟!!

* * *

الدليل الثالث: الزخرفة ضربٌ من التباهي الذي نهى عنه الشرع

إن هذه الزخرفة الحادثة ضرب من التباهي والمفاخرة التي نهى عنها الشرع فمن تزيين الشيطان للعبد أن يسول له أن هذه الزخرفة إنما هي من قبيل تعظيم بيوت اللّه تعالى، وكذا يزين الشيطان للعبد سوء عمله فيراه حسناً ويتخذه دينا، والأدهى والأمر من ذلك أن يعتقد أنه يثاب على هذه البدع.

وهذا التشييد الحادث والزخرفة المبتدعة من أشراط الساعة كما أخبر النبي ﷺ بذلك فقال: «لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد»(١) .

وهذا التباهي تارة يكون بالقول وتارة بالعمل. فهذا يرفع المسجد عدة أمتار وذاك يرفعه عشرات الأمتار.... وهكذا يقع التنافس فيما يخالف هدي رسول اللّه ﷺ .

قال العلامة الصنعاني رحمه اللّه:

«والحديث من أعلام النبوة، والتباهي إما بالقول بأن يقول واحد مسجدي أحسن من مسجد.... علوا وزينة وغير ذلك أو بالفعل كأن يبالغ كل واحد في تزيين مسجده ورفع بنائه وغير ذلك. وفيه دلالة مفهمة بكراهة ذلك وأنه من أشراط الساعة وأن اللّه لا يحب تشييد المساجد ولا عمارتها إلا بالطاعة»(٢).

وقال العلامة ابن رسلان رحمه اللّه: «هذا الحديث فيه معجزة ظاهرة لإخباره ﷺ عما سيقع، فإن تزويق المساجد والمباهاة بزخرفتها كثر من الملوك والأمراء

---

(١) رواه أبو داود [٤٤٩] والنسائي [٣٢/٢] وابن ماجة [٧٣٩] وابن حبان [١٠٤/٣] وأحمد [١٣٤/٣] والدارمي [٣٢٦/١] والبغوي في شرح السنة [٣٥٠/٢] من حديث أنس رضي اللّه عنه وصححه الألباني في الجامع الصغير [٧٤٢١] والأرناؤوط في تخريج شرح السنة [٣٥٠/٢].

(٢) سبل السلام [١٥٨/١].

وقال العلامة السيوطي رحمه الله وهذا الحديث مما يشهد بصدقه الوجود فهو من جملة المعجزات الباهرة له ﷺ »[1] أ.هـ

وقد علم من قواعد الشرع الحنيف أن سد الذرائع إلي المحرمات أمر مطلوب ومن الأمور التي حضت عليها الشريعة الغراء، وإن هذه البدع التي انتشرت في بيوت الله تعالي غالباً ما تنشأ من رياء وسمعة.

قال العلامة المناوي رحمه الله عند تفسير هذا الحديث وشرحه: «فإن ذلك (أي تزيين وزخرفة المساجد) ينشأ من غلبة الرياء والكبرياء والاشتغال بما يفسد حال صاحبه ففاعل ذلك بمنزلة من يحلي المصحف ولا يقرأ فيه إلا قليلا وبمنزلة من يتخذ المصابيح والسجادات المزخرفة تيهاً وفخراً»[2] أ.هـ.

وهذه الزخارف والبدع تزكوهن نار الرياء والعياذ بالله ولهذا كان لزاماً علي كل مسلم أن يقطع كل طريق يؤدي إلي هذا الشرك الأصغر الذي حذر منه رسول الله ﷺ كما في قوله: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر. قالوا: يا رسول الله! وما الشرك الأصغر؟ قال الرياء. يقول الله لهم يَومَ يجازي العباد بأعمالهم. اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاءً» [3].

فإن كل ما يؤدي إلي الشرك يجب أن تحسم مادته. وليعلم المؤمن الغيور علي دينه أن العمل إذا داخله شيء من الرياء فهو عمل محبوط مردود غير مقبول قال الله تعالى لنبيه ﷺ وهو أبعد الناس عن الشرك: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الزمر: آية ٦٥].

(١) حاشية السيوطي على النسائي [٢/٣٢].

(٢) فيض القدير [ ].

(٣) رواه أحمد [٥/٤٢٨، ٤٢٩] والبغوي في شرح السنة [١٤/٣٢٤] من حديث محمود ابن لبيد الأنصاري وقال المنذري في الترغيب والترهيب: «إسناده جيد» وقال الأرناؤوط في تخريج شرح السنة [١٤/٣٢٤]: إسناده قوي».

في هذا الزمان بالقاهرة والشام وبيت المقدس بأخذهم أموال الناس ظلماً وعمارتهم بها المساجد على شكل بديع نسأل اللّه السلامة والعافية»[٣] أ.هـ

وقال تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً ﴾ [الكهف: آية ١١٠][١]

فاللّه تعالي واحد يحب أن يوحد، ويحب الإخلاص في العبادة، فليحذر المؤمن علي نفسه من الرياء والسمعة وقد حذر النبي ﷺ من ذلك فقال: «مَن سَمَّعَ سَمَّعَ اللّهُ بِهِ، ومَنَ يرائِي يرُائي اللّهُ بِهِ»[٢].

ولذلك فإن من أسباب التمكين للمسلمين في الأرض الإخلاص والعمل الصالح فقد قال ﷺ : «بشر هذه الأمة بالسناء والتمكين في البلاد والنصر والرفعة في الدين ومن عمل منهم بعمل الآخرة للدنيا فليس له في الآخرة نصيبٌ»[٣]

* * *

(١) أي لا يعبد معه غيره ولا يعمل عملاً فيه رياء وسمعة، ولا يكتسب الدنيا بعمل الآخرة. كما في شرح السنة للبغوي [١٤/٣٣٢].

(٢) رواه البخاري [١١/٢٧٨] ومسلم [٢٩٨٧] من حديث جندب رضى اللّه عنه وقال الإمام البغوي: «من عمل عملاً علي غير إخلاص وإنما يريد أن يراه الناس ويسمعوه، يجازيه اللّه علي ذلك بأن يشهره ويفضحه فيبدو عليه ما كان يسره من ذلك» أ.هـ شرح السنة [١٤/٣٢٣].

(٣) رواه أحمد [٥/١٣٤] وصححه ابن حبان [٢٥٠١] والحاكم [٤/٣١١] ووافقه الذهبي. من حديث أبي بن كعب رضى اللّه عنه وصححه المنذري في الترغيب والترهيب [١/٣١] والألباني في أحكام الجنائز ص [٥٢] وقواه الأرناؤوط في شرح السنة [١٤/٣٣٥].

الدليل الرابع: في الزخرفة اتباع لسبيل اليهود والنصارى

إن الله عز وجل حذرنا في كتابه من اتباع ومشابهة المشركين من الأمم الضالة من قبلنا، وكذلك حذرنا رسول الله ﷺ في سنته من سلوك سبيل اليهود والنصاري الذين كفروا بالله واستحلوا حرمات الله واعتدوا علي حقوق الله عز وجل فسفكوا الدماء وقتلوا الأنبياء وحرفوا الكتاب وسبُّوا رب الأرباب.

ولقد كان رسول الله ﷺ يحب مخالفتهم في هديهم وأقوالهم فإن التشبه بهم قد يكون كفراً، وربما يكون بدعة، وربما يكون مكروهاً، وربما يكون معصية على حسب درجة المتشبه ونوع التشبه.

قال الله تعالى لنبيه ﷺ: «ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ» [الجاثية: آية ١٨].

وهذا النهي يقتضي عدم التشبه بهم والسير على دربهم وكذلك قال الله تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً ﴾ [المائدة:٤٨]. وإن من لوازم التشبه الولاء وقد قطع الله المودة والولاء بين المسلمين والكافرين لأن الولاية لهم تؤدي إلى الكفر قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [المائدة: آية ٥١].

ولا شك أن التشبه بهم يورث نوعاً من الولاء لهم وقد قال رسول الله ﷺ: «بعثتُ بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجُعلَ الذل والصَّغَارُ على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم»(١) أ.هـ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «هذا الحديث أقل أحواله أنه يقتضي

---

(١) رواه أحمد [٥١١٤، ٥١١٥، ٥٦٦٧] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما وعلّق البخاري بعضه [٦/ ٧٥] وقد صححه الألباني في الجامع الصغير رقم [٢٨٣١] وقد أسهب الكلام عليه أيضاً في حجاب المرأة المسلمة ص [١٠٤] فراجعه.

تحريم التشبه بهم وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم كما في قوله: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ [المائدة: آية ٥١]. وهو نظير ما سنذكره عن عبد الله بن عمرو أنه قال: «من بنى بأرض المشركين وصنع بفروزهم ومهرجانهم وتشبه بهم حتى يموت حُشِرَ معهم يوم القيامة»[1].

فقد يحمل هذا علي التشبيه المطلق فإنه يوجب الكفر ويقتضي تحريم أبعاض ذلك وقد يحمل على أنه منهم في القدر المشترك الذي شابههم فيه، فإن كان كفراً أو معصية أو شعاراً له كان حكمه كذلك، وبكل حال يقتضي تحريم التشبه بعلة كونه تشبهاً» [2] أ.هـ

إذا علمت أيها القاريء هذه التحذيرات من سلوك سبيل اليهود والنصارى فاعلم أن هذه الزخرفة والتشييد إنما سرت للمسلمين من صنيع أهل الكتاب من اليهود والنصارى فما من كنيسة ولا معبد يهودي إلا وتجد فيه من ألوان الزخرفة وأنواع التشييد من النقوش والتصاوير حتى إنهم ليصورون صور الأنبياء على جدران معابدهم.

وقد اتبع كثير من المسلمين هؤلاء في صنيعهم لدرجة أن بعض المساجد تصور صور مشايخ الطرق الصوفية في تجاه القبلة، وقد دخلت أحد المساجد فرأيت فيها شيئاً من ذلك.

فتشبه جهلة المسلمين بهم فزينوا مساجدهم ومحاريبهم وذلك كله مصداقاً لقول رسول الله ﷺ: «لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضَبٍّ لتبعتموهم، قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟»[3].

(١) رواه البيهقي وصححه ابن تيمية في الاقتضاء.
(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ص [٣٩].
(٣) رواه البخاري [١٣/٢٥٥] ومسلم [٢٦٦٩] من حديث أبي سعيد الخدري رضى الله عنه.

وقال حبر الأمة عبد الله بن عباس رضى الله عنهما: «لتزخرفنها كما زخرفتها اليهود والنصارى»[1] .

وقوله هذا رضى الله عنه يعد من قبيل المرفوع لأنه من الإخبار بالغيب وقد حدث كما قال! . فهذا الحديث من الموقوف لفظاً المرفوع حكماً.

قال الإمام الخطابي رحمه الله: [قوله: «لتزخرفنها» معناه لتزيننها وأصل الزخرف الذهب يريد تمويه المساجد بالذهب ونحوه ومنه قولهم: زخرف الرجل كلامه إذا موهه وزينه بالباطل والمعني أن اليهود والنصارى إنما زخرفوا المساجد عندما حرفوا وبدلوا وتركوا العمل بما في كتبهم، يقول فأنتم تصيرون إلى مثل حالهم إذا طلبتم الدنيا وتركتم الإخلاص في العمل وصار أمركم إلي المراءات بالمساجد والمباهاة بتشييدها وتزينها » [2] أ.هـ

وقال الصنعاني عند شرحه لحديث: «ما أمرت بتشييد المساجد». قال: «والحديث ظاهره في الكراهة أو التحريم لقول ابن عباس: لتزخرفنها كما زخرفتها اليهود والنصارى فإن التشبه بهم محرم»[3] أ.هـ

وكلما أحدث الناس هذه البدع كلما أعرضوا عن هدى نبيهم ﷺ . قال الشيخ حمود التويجري حفظه الله: «النوع العشرون: ومن التشبه بأعداء الله تعالى ما ابتلى به كثير من المسلمين قديماً وحديثاً من تشييد المساجد وزخرفتها والتباهي بها قديماً وتشييد الماضين وزخرفتهم ومباهاتهم كل شيء بالنسبة إلى تشييد أهل زماننا وزخرفتهم ومباهاة بعضهم بعضاً وهذا من أشراط الساعة...» [4] أ.هـ

(١) رواه أبو داود [٤٤٨] ضمن حديث مرفوع وذكره البخاري معلقاً وذكر الحافظ في الفتح [٥٣٩/١] أن ابن حبان وصله أيضاً.

قلت: وقد رواه ابن أبي شيبة [٣٠٩/١] أيضاً عن ابن عباس موقوفاً وهذا الأثر قال عنه الألباني في تخريج إصلاح المساجد ص [٩٥]: له حكم الرفع بعد أن صححه، وتكلم على طرقه الحافظ في تغليق التعليق [٢٣٨/٢].

(٢) معالم السنن [٢٥٥/١].

(٣) سبل السلام [٢٦٥/١].

الدليل الخامس: الزخرفة تفسد علي الناس خشوعهم في صلاتهم

إن هذه الزخرفة الحادثة تفسد على الناس خشوعهم في صلاتهم وتشغلهم وتلهيهم عن الخشوع في هذه الفريضة التي كانت قرة عين رسول الله ﷺ حيث قال: «حُبِّبَ إلى النساء والطيب وجعلت قرة عينى في الصلاة»(١) .

وقد مدح الله تعالى الخاشعين في كتابه فقال: ﴿ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ.. إلى قوله ﴿ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: آية ٣٥].

وقال: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ۝الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ [المؤمنون: آية ١، ٢].

ولقد كان رسول الله ﷺ أحرص الناس على هذا الخشوع فقد قطع كل طريق يؤدي إلى إفساد هذا الخشوع.

فمن الوسائل التي اتخذها لعدم شغل البال في الصلاة أنه ﷺ دخل البيت ذات يوم فرأى فيه قرني الكبش الذي يزعمون أنه فداء إسماعيل فدعا النبي ﷺ عثمان بن طلحة فقال له: «إني كنت رأيت قرني الكبش حيث دخلت فنسيت أن آمرك أن تخمرها فخمرها فإنه لا ينبغي أن يكون في البيت شيء يشغل المصلي»(٢) .

قال العلامة الشوكاني(٣) رحمه الله: «والحديث يدل على كراهة تزيين المحاريب وغيرها مما يستقبله المصلي بنقش أو تصوير أو غيرهما مما يلهي وعلى أن تخمير التصاوير مزيل لكراهة الصلاة في المكان الذي هي فيه لارتفاع العلة وهى اشتغال قلب المصلي بالنظر إليها».

---

(١) رواه النسائي [٧/ ٦١] وغيره من حديث أنس رضى الله عنه وحسّنه الأرناؤوط في جامع الأصول [٩/ ٣٩٦].

(٢) رواه أحمد [٥/ [illegible]] و[٤/ ٦٨] من حديث امرأة من بني سليم وصححه الألباني في صفة الصلاة وزاد نسبته [illegible] داود.

(٣) نيل الأوطار [[illegible]].

وأظن أن الاستدلال واضح من هذا الحديث على بدعية هذه الزخارف الحادثة في بيوت الله.

ومما يبعث على الأسى أن الناس قد تعدوا الحدود في هذه الزخارف فقاموا بكتابة آيات الله تعالى وأسمائه الحسنى على هذه الجدران ولا يليق ذلك بقدسية كتاب الله تعالى.

فإن هذه الجدران ستتآكل مع مرور الأيام، وتسقط هذه الزخارف وبذلك نكون قد عرضنا القرآن للامتهان ونكون قد ضيعنا كتاب الله وما حفظناه.

قال الإمام السيوطي(١) رحمه الله: قال أصحابنا تكره كتابته (آي المصحف) على الحيطان والجدران وعلى السقوف أشد كراهة لأنه يوطأ، وأخرج أبو عبيد عن عمر بن عبد العزيز قال: لا تكتبوا القرآن حيث يوطأ» أ.هـ.

وقال ابن القاسم(٢) سمعت مالكاً يذكر مسجد المدينة وما عُمِل فيه من التزويق في قبلته فقال: «كره الناس ذلك حين فعله (أي كره الناس ما فعله الوليد) لأنه يشغلهم بالنظر إليه وسئل مالك عن المساجد هل يكره أن يكتب في قبلتها بالصبغ مثل آية الكرسي وقل هو الله أحد والمعوذتين ونحوهما فقال: أكره أن يكتب في قبلة المسجد شيء من القرآن والتزويق وقال: إن ذلك يشغل المصلى».

وقال العلامة المناوي(٣): «وزخرفة المساجد وتحلية المصاحف منْهيٌّ عنها لأن ذلك يشغل القلب ويلهي عن الخشوع والتدبر والحضور مع الله تعالى والذي عليه الشافعية أن تزويق المسجد ولو الكعبة بذهب أو فضة حرام مطلقاً وبغيرهما

(١) الإتقان في علوم القرآن [٢/ ١٧٠].
(٢) الباعث على إنكار البدع والحوادث ص ٦٢
(٣) فيض القدير [١/ ٣٦٦].

مكروه ويحرم مما وقف عليه»[1] .

ومما يؤيد أن هذه الزخارف والنقوش تلهي المصلي ولا تجوز ما قاله أنس[2] رضى الله عنه: «كان قرام لعائشة سترت به جانب بيتها فقال النبي ﷺ لها: «أميطي عنا قرامك هذا فإنه لا تزال تصاويره تُعْرِض * في صلاتي».

وقد بوّب البخاري عليه باب إذا صلى في ثوب مصلب أو تصاوير هل تفسد صلاته وما ينهي عن ذلك».

قال العلامة الشوكاني رحمه الله[3]: «والحديث يدل على كراهة الصلاة في الأمكنة التي فيها تصاوير وقد تقدم زخرفة المساجد والتصاوير نوع من ذلك»أ.هـ.

تنبيه: «القول بكراهة الصلاة في هذه الأماكن لا يعني بطلان الصلاة فيها ولكن الصلاة فيها تنقص الخشوع وبذلك ينقص أجر المصلي.

ولقد كان رسول الله ﷺ يبتعد عن كل ما يشغل عن الصلاة حتى أنه ﷺ [4] صلى في خميصة** لها أعلام فنظر إليها نظرة وهو يصلي فلما

---

(١) حكى الإمام النووي رحمه الله الخلاف في الوقف علي النقش والتزويق في روضة الطالبين [٥/ ٣٦٠، ٣٦١] ثم قال: «والأصح لا يصح الوقف علي النقش والتزويق لأنه منهيٌّ عنه».

* بفتح أوله وكسر الراء أي تلوح كما قال الحافظ في الفتح [١/ ٤٨٤].

(٢) اخرجه البخاري [٤٨٤/١] فتح وأحمد [١٥١/٣، ٢٨٣] من حديث أنس رضى الله عنه.

(٣) نيل الأوطار [٢/ ٢٣١].

(٤) رواه البخاري [١/ ١٠٦، ١٩٤، ٤/ ٨٠] ومسلم [٢/ ٧٧-٧٨] وأبو داود [٩١٤، ٤٠٥٢] والنسائي [١٢٥/١] والبيهقي [٢٨٢/٢] وأحمد [٣٧/٦، ٤٦، ١٩٩، ٢٠٨] من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

** وهو كساء مربع له أعلام.

انصرف قال: «اذهبوا بخميصتي هذه إلي أبي جهم وأتوني بانبجانية ابي جهم فإنها ألهتني* آنفاً عن صلاتي» وفي لفظ آخر «كنت أنظر إلى أعلامها وأنا في الصلاة فأخاف أن تفتني».

قال الحافظ رحمه الله[1] : «وأما بعثه بالخميصة إلى أبي جهم فلا يلزم منه أن يستعملها في الصلاة ومثله قوله في حلة عطارد حيث بعث بها إلى عمر اني لم أبعث بها إليك لتلبسها ...» أ.هـ.

وقال العلامة ابن دقيق العيد[2]: فيه مبادرة الرسول إلى مصالح الصلاة ونفي ما لعله يخدش فيها» أ.هـ.

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله[3]: «ويستنبط منه (أي من الحديث) كراهية كل ما يشغل عن الصلاة من الأصباغ والنقوش ونحوها» ونقل عن الإمام الطيبي قوله: «فيه إيذان بأن للصور والأشياء الظاهرة تأثير في القلوب الطاهرة والنفوس الذكية قال الحافظ رحمه الله يعني فضلاً عمن دونها» أ.هـ.

أقول وبعد هذا البيان من الحافظ رحمه الله وغيره تجد كثيراً من الناس يجادلون في بدعية هذه الزخارف ويزعمون أنها لا تؤثر في خشوعهم في صلاتهم.

كذبوا وربك فإنه إذا كان رسول الله ﷺ قد خاف من تأثير الخميصة التي بها أعلام ... وهو رسول الله فما بالك بمن دونه ولعل كلام الحافظ ابن حجر الأخير يرد علي هذا الضرب من الناس فما أشبه هؤلاء بقول القائل:

ألقاهُ في اليم مكتوفاً وقال له   إيـاك إيـاك أن تبتـل بالمـــاء

(* يعني شغلتني يقال لهى إذا غفل ولها بالفتح إذا لعب قاله الحافظ في الفتح [١/٤٨٣].

(١) فتح الباري [١/٤٨٣].

(٢) إحكام الأحكام لابن دقيق العيد [٢/٩٦].

فكيف يضمن المصلي أن يسلم خشوعه في هذا المكان. اللهم عفواً!

ولقد كان سلف الأمة رحمهم الله يحبون الصلاة في المساجد العتيقة لو أنها أبعد عن البدع والزخارف والنقوش لأن المساجد الحديثة البناء غالباً ما تشتمل على بدع.

فعن ثابت البناني[١] قال: «كنت أكون مع أنس فيأتي إلى المسجد فيسمع الأذان فيقول محدث هذا.فإذا قالوا نعم يجاوزه إلى غيره.

وعن مجاهد[٢] أنه كان يجاوز المساجد المحدثة إلى القديمة.

وعن ليث[٣] قال: «إن أبا وائل فاتته الصلاة في مسجد كذا وكذا فصلى في مسجد كذا وكذا وبينها مساجد كثيرة محدثة لم يصل فيها».

قال الإمام النووي رحمه الله[٤]: «ويكره زخرفة المسجد ونقشه وتزيينه للأحاديث المشهورة لئلا تشغل قلب المصلي» أ.هـ.

وقال الشيخ القاسمي نقلا عن الإقناع[٥]: «ويكره أن يزخرف (أي المسجد) وغيره مما يلهي المصلي بنقش وصبغ وكتابة عن صلاته غالباً وإن كان من مال الوقف حرم فعله ووجب الضمان ولا بأس بتجصيصه أو بتبييض حيطانه» أ.هـ. وممن نص على بدعية الزخرفة الحادثة والنقوش ونحوهما. الشيخ تقي الدين الحنبلي في كتابه تحفة الراكع الساجد ص ٢١٦، والشيخ صديق حسن خان في فتح العلامة [١١٨/٢] والإمام السيوطي في رسالته الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع ص ١٤٣ والشاطبي في الاعتصام [٨٢/٢] والعلامة القاري كما نقله في عون المعبود [١١٨/٢] والإمام البغوي في شرح السنة [٣٤٨/٣] والعلأمة ابن الحاج في المدخل [٢١٤/٢] والعز بن عبد السلام في القواعد

(١)، (٢)، (٣) مصنف أبي بكر بن أبي شيبة [٢٣٢/٢].

(٤) المجموع شرح المهذب [١١٨/٢].

(٥) إصلاح المساجد ص.٢٦٤.

[١٩٦/٢] والعلأمة أبو شامة في الباعث [ص٦٤] وشمس الحق آبادي في عون المعبود [١١٨/٢] والعلأمة القاسمي في إصلاح المساجد ص ٩٥. والعلامة السندي في حاشيته على النسائي [٣٢/٢] والعلامة القسطلاني في إرشاد الساري [٤٤٠/١] والعلأمة الألباني في رسالته صلاة التراويح ص ٦ والشيخ على محفوظ من علماء الأزهر في كتابه الابتداع في مضار الابتداع [ص ١٨٣] والشيخ سيد سابق في فقه السنة [٢١٠/١] ولو ذهبنا لننقل أقوالهم لضاق المقام وقد اكتفينا بالإشارة إلى أماكن أقوالهم فراجعها إن شئت.

* * *

الدليل السادس: الزخرفة ضرب من إضاعة المال والسرف

ما من شك في أن المال من نعم الله تعالى علينا حيث من الله علينا وأمرنا أن نحصله من حل وننفقه في حل في وجوه الخير المشروعة وما أكثرها ولكن أكثر الناس لا يعلمون، ولا يشك عاقل أن المال عصب هام وعنصر فعال في الدعوة إلى دين الله عز وجل. وإن هذه الزينة الحادثة في المساجد تعتبر ضرباً من ضروب الإسراف المنهي عنه قال الله تعالي: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّه لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِين ﴾ [الأعراف: ٣١].

وقال الله عز وجل: ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً. إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً ﴾ [الإسراء: ٢٦-٢٧].

وقال النبي الأعظم ﷺ : «إن الله حرّم ثلاثاً ونهى عن ثلاث حرّم عقوق الوالدين ووأد البنات ولا وهات ونهى عن ثلاث عن قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال»(١).

وليعلم المسلم أنه مسئول أمام الله تعالى عن حق المال الذي اكتسبه وأنفقه في غير وجهه المشروع.

قال النبي ﷺ : «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتي يسأل عن عمره فيم أفناه وعن علمه ما فعل وعن ماله من أين أكتسبه وفيم أنفقه وعن جسمه فيم أبلاه»(٢).

وليعلم المؤمن أن أبواب الخير المشروعة كثيرة والتنافس فيها مرغب فيه وتالله

(١) رواه البخاري [٣/ ٢٧٠] في الزكاة: باب قول الله تعالى ﴿ لا يسألون الناس إلحافاً ﴾ وفي الأدب باب عقوق الوالدين من الكبائر ومسلم رقم ٥٣٩ في الأقضية باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة..

(٢) رواه الترمذي برقم ٢٤١٧ من حديث ابي برزه الأسلمي وقال هذا حديث حسن صحيح وصححه الألباني في الجامع الصغير برقم [٧٣٠٠].

لو أنفقت هذه الأموال التي تصرف في الزخارف والنقوش والتشييد ـ لو أنفقت على جوعى المسلمين الذين يعانون من الجوع ويخيرون بين دينهم وبطونهم ويقعون تحت وطأة التبشير والتنصير في أفريقيا وغيرها.. فلو أنفقت هذه الأموال عليهم لحمد الله لصاحبها هذا الصنيع... ولو بنيت بهذه الأموال بيوتٌ للمساكين ومنازل للمشردين، أو صُرفت على مرضى المسلمين لكان في ذلك الخير العميم... ولما وجدنا مريضاً أو مشرداً، ولما وجدنا عارياً ولا جائعاً، قال العلاّمة القاسمي رحمه الله نقلاً عن بعض الفضلاء[1]: «من الذي كان يجسر من أهل البصر في الأجيال التي كان التنافس بالغاً حده في إقامة جدران المسجد والقباب وزخرفتها وبذل القناطير المقنطرة في أثاثها ورياشها؟ ومن الذي كان يجسر في تلك الأحيان أن يقول لأولئك المبتدعين إنكم إنما تبنون صروحاً لإيقاع العامة في شراك البدع وتبذلون أموالكم لإحالة الدين إلى العبادات الصورية، كما حصل في إشراك كل الأمم السالفة التي اعتاضت عن جمال العقيدة بجمال جدران المعابد؟ وعن نور الإيمان بأنوار الهياكل؟ حتى جعلوا شعائر الدين أشبه باحتفالات الولائم وأقرب الاجتماعات لشدة ما تلتهي الأذهان بالنقوش والزخارف وما يشطح الفكر في التأمل في سجوف المنافذ وإبداع المنابر مع أن القصد من تلك الاجتماعات كان تجريد العقل من ملهيات العالم المادي وتخليصه من فاتنات المظهر الطيني، والذهاب بالروح على أجنحة ذلك الاجتماع المندمج إلى باب الرحمة القدسية لتطرقه بيد التجريد والعبودية الخالصة لترجع إلى عالمها بنور من عالم القدس يثبِّتها في جهادها ويقيمها على صراطها ويحميها عن فتن الدنيا ومداحضها حتي إذا أدت وظيفتها في هذه الحياة عرجت إلى عالمها بتلك القوة التي اكتسبتها ودخلت من جنان الفيض الإلهي في الحياة التي أعدت لها»[1] أ.هـ.

(١) إصلاح المساجد ص ٩٥، ٩٦.

تنبيه:

نقل الإمام الصنعاني في السبل [1] قولاً بالتفريق بين المحاريب والجدران في الزخرفة فأجاز صاحب هذا القول الزخرفة في المحاريب ومنعها في الجدران والصواب ما عرفناك في الأدلة السابقة حيث أنها لم تفرق بين المحراب وغيره وكلام أهل العلم يدل علي أن منع الزخرفة في كل المسجد سواء كان في المحراب أو في الجدران والحيطان. وقد مر من ذلك الكثير فكن علي بال من هذا.

فصل: في أشياء تدخل في الزخرفة ولها حكمها

ويدخل في الزخرفة الحادثة والزينة الممنوعة في المساجد وضع السرج والمصابيح الكثيرة في المساجد في الاحتفالات البدعية التي اتخذها الناس دينا قال العلامة النووي رحمه الله[2]: «ومن البدع المنكرة ما يفعله في كثير من البلدان من إيقاد القناديل الكثيرة العظيمة السرف في ليال معروفة من السنة كليلة النصف من شعبان فيحصل بسبب ذلك مفاسد كثيرة منها مضاهاة المجوس في الاعتقاد بالنار والإكثار منها. ومنها إضاعة المال في غير وجهه. ومنها ما يترتب علي ذلك في كثير من المساجد من اجتماع الصبيان وأهل البطالة ولعبهم ورفع أصواتهم وامتهانهم في المساجد وانتهاك حرمتها، وحصول أوساخ فيها وغير ذلك من المفاسد التي يجب صيانة المسجد من أفرادها» أ.هـ.

أقول وليت الأمر يقتصر علي ما ذكره الإمام النووي فلقد بلغ السيل الزبى في مثل هذه الاجتماعات البدعية حيث يعقدون مجالس الذكر ـ زعموا ـ ويتمايلون يمنة ويسرة ويهزون الأوساط وينشرون الشعور. ويرفعون أصواتهم بمدائح

(١) سبل السلام [١/٢٦٥].

(٢) المجموع شرح المهذب [٢/١٨١].

وتواشيح ـ زعموا ـ وفيها ما فيها من توسلات شركية واطراء يرفع الأنبياء إلى مرتبة الإلهية، أضف إلى ذلك من اختلاط الرجال بالنساء وشراب الدخان وغير ذلك من المفاسد العظيمة في مثل هذه الاجتماعات البدعية(١) .

كما يدخل في هذه الزخرفة أيضاً فعل المقاصير التي بجوار المنبر وزخرفة المنبر بطريقة ملفتة للنظر وقد نص على ذلك العلامة ابن الحاج في المدخل. وفي كثير من الأحيان تجد المنابر العالية التي تقطع الصفوف في الصلاة وكل ذلك مخالف لهدي رسول اللّه ﷺ كما يدخل فيها ستر المنابر بالستائر وذكر ذلك العلامة الألباني في الأجوبة النافعة كما يدخل فيها وضع الصور في المساجد وهذه من الطامات الكبرى وقد(٢) دخلت ذات يوم مسجداً يصلي فيه بعض أرباب الطرق الصوفية فرأيت فيه صورة كبيرة لشيخهم البرهاني وهى موضوعة في تجاه القبلة نسأل اللّه السلامة والنجاة وهكذا تجد أن البدع تنشأ شيئاً شيئاً فشيئاً وتجر إلى أكبر منها. وقديماً قالوا أول السيل قطرة.

ومما يؤسف له أيضاً انك ترى في كثير من المساجد في العصر الحاضر الساعات الكبيرة الدقاقة التي تضرب بناقوس أشبه بناقوس النصارى وقد نهى النبي ﷺ عن مثل هذا الصوت(٣) . وليت القائمين على المساجد تفطنوا لمثل

(١) من ذلك فعل الاحتفالات بالمولد النبوي وغيره وقد ألف كثير من أهل العلم في التحذير من هذه البدع فللشيخ عبد العزيز بن باز حفظه اللّه رسالة حكم الاحتفالات بالمولد وكذلك الشيخ إسماعيل الأنصاري رسالة فريدة في بابها وقد جمع العلامة الشقيري رحمه اللّه في كتابه القيم السنن والمبتدعات مفاسد هذه الاجتماعات والاحتفالات فراجع ذلك كله لتقف علي حقيقة هذه الاجتماعات وما يترتب عليها من مفاسد.

(٢) وقد نبَّه على هذه البدعة العلاَّمة الألباني في رسالته حجاب المرأة المسلمة ص ٨٤.

(٣) وقد ورد في ذلك عدة أحاديث منها حديث الجرس مزمار الشيطان رواه مسلم [١٣٦/٦] وأبو داود [٤٠١/١] والحاكم [٤٤٥/١] والخطيب [٧٠/١٣] والبيهقي [٢٥٣/٥] من حديث أبي هريرة رضى اللّه عنه وقال المناوي في فيض القدير [٣٥٥/٣] قال ابن

ذلك ورفعوا هذه الاصوات من المسجد فلا يتفق المسجد الذي يوحد الله فيه وسماع هذه الأصوات التي تذكر بالتثليث ودين النصارى وقد نبه علي ذلك العلامة الألباني في حجاب المرأة المسلمة...

وقد توسع الناس في استعمال هذه الساعات فتجد أن كثيراً منهم يضعونها في بيوتهم ـ وقريب من هذه استعمالهم لساعات تعزف قطع موسيقية وتحدث اصواتاً عجيبة في بيوت الله تلفت نظر الناس اثناء سماع خطبة الجمعة أو تلفت قلوبهم اثناء الصلاة وما قلت ذلك إلا نصيحة أوحاها إلى ديني تجاه بني قومي. وأسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة.

كما يدخل في هذه الزينة السجاجيد المنقوشة والغالية الأثمان التي تلهي المصلي بالنظر إليها وتحرمه من الخشوع والتدبر فيما يتلى عليه من آيات وقد نبه على ذلك االعلامةالمناوي وابن الحاج والشاطبي الغرناطي وغيرهم.

* * *

فصل: فيما يجب على ولي الأمر تجاه هذه البدع

إن مسئولية ولي الأمر كبيرة... إن مثل هذه البدع المنتشرة من المنكرات التي يجب على ولي الأمر إزاحتها وقد قال النبي ﷺ [1]: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» .

وهذا الأمر بالتغيير لكل مسلم وأما الإمام فدوره في هذا التغيير أكبر حيث أنه يملك ما لا يملك آحاد الرعية من نفوذ الكلمة وقوة الشكيمة فيجب عليه أن يغير ما صنعه المبتدعون من هذه الزخارف ونحوها وعليه أن يتعاهد المساجد ويصونها عن مثل هذه البدع وهكذا كان رسول الله ﷺ فعن أنس[2] رضى الله عنه قال: «إن النبي ﷺ رأى نخامة في القبلة فحكها بيده، ورؤي منه كراهية أو رؤي كراهيته لذلك وشدته عليه وقال: إن أحدكم ..... الحديث. فمن هذا الحديث أن الإمام عليه أن يصون المسجد عن كل ما يؤذي المصلين وكذلك عن كل ما يشغلهم ويفسد عليهم صلاتهم ولا يبخل عليهم بالنصح كما فعل رسول الله ﷺ حيث لفت أنظارهم ولذلك قال الحافظ ابن حجر رحمه الله[3] «وفي هذا الحديث من الفوائد تفقد الإمام أحوال المساجد وتعظيمها وصيانتها وفعل النبي ﷺ هذا دال علي عظم التواضع زاده الله تشريفاً وتعظيماً» أ.هـ.

وقال العلامة ابن الحاج في المدخل[4]: «وينبغي له (أي الإمام) أن يغير ما

(١) رواه مسلم [١/٦٩] من حديث أبي سعيد الخدري رضى الله عنه.

(٢) رواه البخاري برقم ٤١٧ من حديث أنس رضى الله عنه وقد ورد نحوه من حديث أبي هريرة رضى الله عنه.

(٣) البخاري [١/٥١٤].

(٤) المدخل [٢/٢١٤].

أحدوثوه من الزخرفة في المحراب وغيره فإن ذلك من البدع وهو من أشراط الساعة» وقال في موضع آخر: «قال في ترجمة بيان الأمر بتغيير البدع التي أحدثت في المساجد قال: قال رسول الله ﷺ كلكم راع وكلكم[1] مسئول عن رعيته ولا شك أن المسجد وما يفعل فيه من رعية الإمام والمؤذن والمقيم إلى غير ذلك ممن له التصرف ألا ترى إلي فعله عليه الصلاة والسلام حين رأي نخامة في القبلة فحكها بيده ورؤى كراهيته لذلك وشدته عليه فإذا تقرر أن المسجد من رعية الإمام فيحتاج إلى أن يتفقده فما كان فيه على منهاج السلف الماضيين أبقاه وما كان من غير ذلك أزاله برفق وتلطف إن قدر علي ذلك كما تقدم من فعله عليه الصلاة والسلام في النخامة[2] أ.هـ

أقول: وقد درج سلف الأمة رحمهم الله والأئمة من بعد رسول الله ﷺ على الاهتمام بالمساجد وصيانتها وإزالة البدع والمنكرات منها والإنكار علي من أحدث في المساجد.

- فعن لبابة[3] عن أمها وكانت تخدم عثمان بن عفان أن عثمان رضى الله كان يصلي إلي تابوت فيه تماثيل فأمر به فَحُكَ.

- وعن محمد بن الزبير الحنظلي[4] قال: «رأيت عمر بن عبد العزيز رأي ابنا له كتب في الحائط بسم الله الرحمن الرحيم فضربه».

- وعن الحسن[5] أنه سأله رجلاً إن في بلدنا ساحة فيها تصاوير قال امحوها» وإذا علمت هذا يا عبد الله فالأولى لك أن تحرص دائماً على الصلاة في المساجد الشرعية القائمة على الكتاب والسنة حتى تسلم صلاتك ويسلم خشوعك.

---

(١) جزء من حديث ابن عمر رضى الله عنهما رواه البخاري [١٣/ ١٠٠] ومسلم [١٨٢٩].
(٢) تقدم تخريجه قريباً.
(٣)، (٤)، (٥) رواه أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف [٢/٤٦].

هذا وينبغي لمن يتصدى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يتعلم آدابهما حتى لا يقع في منكر أشد بسبب جهله بأحكام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فكن على بال من ذلك والله الموفق.

* * *

فصل في شُبهات المجيزين للزخرفة والتزيين الحادثين والرد عليها

وفي هذا الفصل سنحاول تفنيد شُبه المجيزين لهذه البدع وتنحصر شبههم في:

الشبهة الأولي: أن الزخرفة بدعة حسنة.

الشبهة الثانية: أن السلف رحمهم اللّه سكتوا علي ما صنعه الوليد وسكوتهم يدل على رضاهم.

الشبهة الثالثة: الإحتجاج على جواز الزخرفة بأن مسجد الرسول والمسجد المكي مزخرفين.

الشبهة الرابعة: تزيين المسجد وزخرفته يرغب في الصلاة فيه.

الشبهة الخامسة: الإحتجاج بقوله: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ ... ﴾ الآية وعليه فإن زخرفة المساجد من تعظيم بيوت اللّه وعمارتها.

الشبهة السادسة: أن المساجد لا بد أن تناسب ما عليه الناس اليوم من زخرفة بيوتهم هذا ولا أعلم لهم شبهة غير هذه.

وجواباً على ذلك نقول:

(١) الجواب عن الشبهة الأولى:

قال المجيزون للزخرفة إن هذه الزخرفة بدعة حسنة وقد ثبت في الشرع القول بالبدعة الحسنة ومن ذلك قول عمر رضى اللّه عنه لما جمع الناس علي قارىء واحد في صلاة التراويح في شهر رمضان قال عمر لما رآهم: «نِعمتِ البدعة»[١] والجواب أن هذا التقسيم أعني تقسيم البدعة إلى حسنة وسيئة لا يعرف له دليل من كتاب ولا سنة ولا قولَ صحابى. بل الأدلة الواردة تمنع من القول بالبدعة

(١) رواه مالك في الموطأ [١/١٣٦-١٣٧] وعنه البخاري [٢٠٣/٤] من حديث عبد الرحمن بن عبدٍ القاري.

الحسنة في الشرع فقد قال النبي ﷺ: «كل بدعة ضلالة»[1] وفي حديث آخر: «وكُلُّ ضَلالةٍ فِي النَّارِ»[2]. قال العلامة الشوكاني رحمه الله عند شرحه لحديث «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»[3] قال رحمه الله: «وهذا الحديث من قواعد الدين لأنه يندرج تحته من الأحكام ما لا يأتي عليه الحصر وما أصرحه وأدله من إبطال ما فعله الفقهاء من تقسيم البدع إلى أقسام وتخصيص الرد ببعضها بلا مخصص من عقل ولا فعل فعليك إذا سمعت من يقول هذه بدعة حسنة بالقيام في مقام المنع مسنداً له بهذه الكلية وما يشابهها من نحو قوله ﷺ: «كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٍ» طالباً الدليل لتخصيص تلك البدعة التي وقع النزاع في شأنها بعد الاتفاق على أنها بدعة فإن جاءك به قبلته وإن كان كنت قد ألقمته حجراً واسترحت من المجادلة[4] أ.هـ. أقول: وهذا كلام رصين حقاً، وأما ما رجح به هؤلاء من قول أمير المؤمنين «نِعْمَتِ البدعة» فلا حجة فيه لأنه ما قصد البدعة الشرعية بل قصد به البدعة اللغوية فصلاة التراويح ليست بدعة في الشريعة بل هي سنة حَضَّ على صلاتها رسول الله ﷺ وصلاها مع أصحابه جماعة في أول شهر رمضان ليلتين وصلاها في العشر الأواخر في جماعة مرات. قال شيخ الإسلام ابن تيمية[5] رحمه الله: «وأكثر ما في تسمية عمر تلك البدعة مع حسنها وهذه تسمية لغوية لا تسمية شرعية وذلك أن البدعة في اللغة كل ما فعل ابتداءً من غير مثال سابق وأما البدعة الشرعية فكل ما لم يدل عليه دليل شرعي» أ.هـ.

---

(١) جزء من حديث رواه أحمد [١٢٧/٤] وأبو داود [٤٦٠٧] والترمذي [٢٦٧٦] وصححه وابن ماجه رقم [٤٢، ٤٤] والحاكم [٩٥/١-٩٧] وابن حبان وصححه وابن عبد البر في جامع بيان العلم [١٨١/٢-١٨٢] والدارمي [٤٤/١، ٤٥] من حديث العرباض بن سارية وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٢٥٤٩ وقد شرحه الإمام ابن رجب شرحاً وافياً في جامع العلوم والحكم.

(٢) جزء من حديث رواه النسائي [٢٤٣/١] من حديث جابر وصححه شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى [٨٥/٣] وكذا الألباني في رسالة صلاة التراويح ص ٧٦.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) نيل الأوطار [١٣٥/١، ١٣٦].

وقال العلامة ابن رجب الحنبلي[1]: «وأما ما وقع في كلام السلف من استحباب بعض البدع [2] فإنما ذلك في البدع اللغوية لا الشرعية فمن ذلك قول عمر رضى الله عنه لما جمع الناس في قيام رمضان على إمام واحد في المسجد وخرج ورآهم يصلون كذلك فقال: نعمت البدعة هذه» أ.هـ.

وإن تعجب أيها القارىء فعجب احتجاج بعضهم للقول بالبدعة الحسنة بحديث: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة....الحديث»[3] والجواب عمن احتج بهذا أن يقال إن السنة الحسنة هى إحياء أمر مشروع لم يعهد العمل به بين الناس لتركهم السنن في العصر الحاضر فلو أن إنساناً أحيا سنة مهجورة يقال أتي بسنة حسنة ولا يقال أتى ببدعة حسنة فالسنة الحسنة هى ما كان أصله مشروعاً بنص صحيح وترك الناس العمل به ثم جاء من يجدده بين الناس مثال ذلك صلاة العيد في العراء وخلع النعلين عند دخول المقابر والصلاة على الجنازة في مصلى خاص وغير ذلك فإن أكثر هذه السنن مهجورة فلو أحياها بعض الناس لكان محموداً على هذا الفعل وله ثواب ذلك وثواب من اتبعه على ذلك. وقد قال الإمام الشوكاني رحمه الله في الرد على هذه الشبهة:[4] «ودعوى (أي التشييد والزخرفة) بدعة مستحسنة باطل».

إذا علمت هذا يا عبد الله تبين لك فساد هذا التقسيم السابق للبدعة ورحمه الله عبد الله بن عمر رضى الله عنهما حيث قال: «كل بدعة ضلالة وإن رآها

---

(١) جامع العلوم والحكم ص٢٣٣.

(٢) وقد قسم العز بن عبد السلام البدعة فجعل منها بدعة واجبة وبدعة محرمة وبدعة مندوبة وبدعة مكروهة وبدعة مباحة كما في قواعده [١٧٢/٢] وقد ناقش هذا التقسيم وبين فساده الإمام الشاطبي في الاعتصام [١٨٨/١ - ٢٢٠].

(٣) رواه مسلم برقم ١٠١٧ والنسائي [٧٥/٥، ٧٦] من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه.

الناس حسنة»[1] . قال العلامة حسن بن علي البربهاري وهو من أصحاب الإمام أحمد من علماء المسلمين [2] الأوائل مبيناً خطورة البدع صغيرها وكبيرها. يقول رحمه الله: «احذر صغار المحدثات فإن صغار البدع تعدد حتى تصير كباراً، وكذلك كل بدعة أحدثت في هذه الأمة كان أولها صغيراً يشبه الحق فاغتر بذلك من دخل فيها، ثم لم يستطع الخروج منها فعظمت وصارت دينا يدان به، فخالف الصراط المستقيم، فخرج من الإسلام، فانظر رحمك الله كل من سمعت كلامه من أهل زمانك خاصة، فلا تتعجلن، ولا تدخلن في شيء منه حتى تسأل وتنظر هل تكلم فيه أحد من أصحاب رسول الله ﷺ وأحد من العلماء فأصبت فيه أثراً عنهم فتمسك به ولا تجاوزه بشيء ولا تختر شيئاً فتسقط في النار.

وقال الإمام محمد بن وضاح[3] . : «كم من أمر اليوم معروف عند كثير من الناس منكراً عند من مضي، وكم متحبب إلى الله تعالي بما يبغض الله تعالي عليه ومتقرب إلى الله تعالى بما يبعده عنه وكل بدعة عليها زينة وبهجة» أ.هـ.

* * *

(١) رواه الدارمي باسناد صححه الألباني في إصلاح المساجد ص ١٣.
(٢) طبقات الحنابلة لأبي يعلي [١٨/٢-١٩].
(٣) نقلاً عن الباعث ص ٦٢.

(٢) الجواب عن الشبهة الثانية:

يقال لمن أصبح بسكوت السلف على جواز ما صنعه الوليد من الزخرفة أين النقل علي هذه الدعوى العريضة؟ وثم يقال إن النقل بخلاف ما ادعي هؤلاء فإن أهل العلم كرهوا ما صنع الوليد.

قال ابن القاسم[١] سمعت مَالكاً يذكر مسجد المدينة وما عمل فيه من التزويق في قبلته فقال كره الناس ذلك حين فعله (أي الوليد) لأنه يشغلهم بالنظر إليه ...الخ.

ويقال أيضاً إن كثيراً من الولاة الظلمة المشهورين بالجور يصنعون الأشياء المخالفة للشرع دون أن يستشيروا أهل العلم والفضل ولا يليق بمسلم علم سيرة السلف أن يظن بهم السكوت عن هذا الصنيع المشين المخالف لهدي رسول الله ﷺ ونحن نعلم ما كان عليه السلف من الصدع بالحق في وجه الظالم مهما كان منصبه وغاية ما يقال إن بعض السلف لا كلهم سكت لا عن رضى بما صنع الوليد لكن سكت لعدم الفتنة ومقابل الساكت قام أناس يخافون الله ويرجون رحمته بالصدع بالحق وبينوا ولم يكتموا فإن الأرض بحمد الله ما خلت يوماً من قائم لله بحجة ومُظهر لسنة رسول الله ﷺ ولذلك قال العلامة الشوكاني رحمه الله[٢]: « ودعوى ترك إنكار السلف ممنوعة لأن التزيين بدعة أحدنها أهل الدول الجائرة من غير مؤاذنة لأهل العلم والفضل وأحداثوا من البدع ما لا يأتي عليه الحصر ولا ينكره أحد، وسكت العلماء عنهم تقية لا رضاً بل قام في وجه باطلهم جماعة من علماء الآخرة صرخوا بين أظهرهم بنعي ذلك عليهم... إلى أن قال: وتقويم البدع المعوجة التي يحدثها الملوك توقع أهل العلم في المسالك الضيقة فيتكلفونه لذلك من الحجج الواهية ما لا يتفق إلا على بهيمةأ.هـ.

---

(١) الباعث [ص٦٢].

(٢) نيل الأوطار [٢/٢١٦].

(٣) الجواب عن الشبهة الثالثة:

وهذه الشبهة في الحقيقة طالما نسمعها من أفواه العامة وفيهم غير قليل من الخاصة والجواب ما عرفناه سابقاً في قصة المسجد النبوي وبنائه وأن هذه الزخرفة لم تكن من فعل رسول الله ﷺ ولا فعل خلفائه الكرام. بل حدثت الزخرفة وإدخال القبر في عهد الوليد بن عبد الملك سامحه الله.

قال العلامة الصنعاني نقلا عن المهدي في البحر الزخار[1] قوله: «إن تزيين الحرمين لم يكن برأي ذي حلٍ وعقد ولا سكوت رضا إنما فعله أهل الدول الجائرة من غير مؤاذنة لأحد من أهل الفضل وسكت المسلمون من العلماء من غير رضا» قال الصنعاني تعقيباً على هذا الكلام «وهو كلام حسن».

وما أكثر احتجاج الناس بمثل هذه البدع التي تحدث في المساجد الكبار والتي ينبغي على هذه المساجد الكبيرة والتي هي محط نظر أن تكون قدوة لبقية المساجد. والله الموفق.

* * *

(١) سبل السلام [١/٢٦٥].

(٤) الجواب عن الشبهة الرابعة:

وهذه الشبهة الحقيقة لا يُعوَّل عليها... فمتى كانت الصلاة مرغباً فيها في مثل هذه المساجد؟ وهل أتى بنص بذلك عن رسول الله ﷺ أم أن ذلك مجرد اتباع هوى؟ ثم أين الفضيلة التي تضمنها هذا التزويق المبتدع حتى يفتح ذلك شهية المصلى للصلاة في المسجد؟ إن هذه الشبهة من وسوسة الشيطان ليس إلا ولو كان في هذا التزيين فضيلة لبيَّنها رسول الله ﷺ وصنعها أصحابه من بعده فهم أسبق الناس إلى فعل الخيرات والتمسك بالطاعات والحرص على كل خير فمن المحال أن تخفى فضيلة هذه الزخرفة على رسول الله ﷺ وصحابته الكرام وتظهر هذه الفضيلة للخلوف من بعدهم!! إن هذا لشيء عُجاب!! وهل هذا إلا محض تقول وتخرص؟... وكيف يخشع المصلى في هذا المكان المبرقش المزركش؟... وإذا كان المصلي يأتي المسجد للصلاة فيه لزخرفته وزينته فلا شك أن شغله الشاغل سيكون تقليب بصره في حيطان المسجد وقبلته وبذلك يضيع خشوعه وينتقص أجر صلاته والحاصل أن هذه الشبهة التي اعتمدوا عليها لا دليل عليها وما من شك في أن المسجد كلما كان أقرب إلي السُّنّة في بنائه كان أدعي للخشوع فهو يُذكر المرء بما كان عليه مسجد رسول الله ﷺ قال العلامة الشوكاني[1] «ودعوى أنه رغب في المساجد فاسدة لأن كونه داعياً المسجد ومرغباً إليه لا يكون إلا لمن كان غرضه وغاية قصده النظر إلى تلك النقوش والزخرفة فأما من كان غرضه قصد المساجد لعبادة الله التي لا تكون عبادة على الحقيقة إلا مع خشوع وإلا كانت كجسم بلا روح فليست إلا شاغلة عن ذلك».

---

(١) نيل الاوطار [٢/٢١٥].

(٥) الجواب عن الشبهة الخامسة:

نقول إن تعظيم بيوت اللّه وعمارتها تكون أولاً ببناءها علي الكتاب والسُّنة وصيانتها عن كل ما يخالف هدْي رسول اللّه ﷺ فعمارة المساجد لا بد أن تكون في إطار ما أمر اللّه ورسوله فالعمارة مفيدة بما جاء على لسان رسول اللّه ﷺ وأما عمارتها على غير هدْي رسول اللّه ﷺ لا ينبغي وإنما عمارة المساجد رفع بنائها(لا يقتضي التشييد في حدود الشرع وكذا يدخل في عمارة المساجد عمارتها بذكر اللّه تعالى والدعاء والتوحيد الخالص للّه رب العالمين.

قال العلامة الألوسي[١] ـ رحمه اللّه عند تفسير الآية: «المراد بالعمارة ما يعم حرمة ما استرم منها وقمها وتنظيفها وتزينها بالفرش لا علي وجه يشغل قلب المصلي عن الحضور.... وتنويرها بالسرج... وإدامة العبادة والذكر ودراسة العلوم الشرعية فيها ونحو ذلك وصيانتها مما لم تبن له في نظر الشارع كحديث الدنيا ومن ذلك الغناء على مآذنها كما هو معتاد الناس اليوم لا سيما بالأبيات التي غالبها من هجر القول. أ.هـ.

* * *

---

(١) روح المعاني بتصرف [١٠/٦٥].

(٦) الجواب عن الشبهة السادسة:

نقول إذا ثبت أن الزخرفة بدعة ومخالفة لهدي رسول الله ﷺ فلا ينبغي أن نتكلف الحجج الواهية للاستدلال بها على مثل هذه الزخرفة المصطنعة والمخالفة لما جاء به رسول الله ﷺ ونحن لا ننكر أنه لا بد من صيانة المسجد والإهتمام به وحفظه وتعاهده لكن لا يدخلنا ذلك في جلب بدعوى أن المسجد لا بد أن يناسب ما عليه الناس اليوم.

والحق أحق أن يتبع فالله تعالى يقول: ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا ﴾ [الحشر: آية ٧].

أسأل الله أن يوفقنا إلى ما يحبه ويرضاه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

* * *

المراجع

١- القرآن الكريم.

٢- صحيح البخاري بشرح ابن حجر «فتح الباري».

٣- صحيح مسلم .

٤- سنن أبي داود بشرح شمس الحق آبادي «عون المعبود».

٥- معالم السنن للإمام الخطابي.

٦- سنن النسائي بحاشية السيوطي.

٧- مصنف أبي بكر بن أبي شيبة.

٨- سنن البيهقي.

٩- سنن الدارقطني.

١٠- سنن الدارمي.

١١- سنن الترمذي.

١٢-مسند الإمام أحمد.

١٣- صحيح ابن حبان.

١٤- صحيح ابن خزيمة.

١٥- صحيح الجامع الصغير للألباني - السيوطي.

١٦- السلسلة الصحيحة للألباني.

١٧- الأجوبة النافعة للألباني.

١٨- حجاب المرأة المسلمة للألباني.

١٩- زاد المعاد لابن القيم.

٢٠- اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية.

٢١- جامع العلوم والحكم لابن رجب.

٢٢- الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة.

٢٣- القواعد للعز بن عبد السلام.

٢٤- إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد.

٢٥- طبقات الحنابلة لابي يعلي.

٢٦- نيل الأوطار للإمام الشوكاني.

٢٧- سبل السلام للصنعاني.

٢٨- شرح السنة للإمام البغوي.

٢٩- فتح العلام لصديق حسن خان.

٣٠- الإيضاح والتبين كما وقع فيه الأكثرون من مشابهة المشركين للشيخ حمود التويجري.

٣١- لسان العرب لأبن منظور.

٣٢- مجمل اللغة لابن فارس.

٣٣- غريب الحديث لابي عبيد القاسم بن سلام.

٣٤- المجموع شرح المهذب للإمام النووي.

٣٥- المدخل لابن الحاج.

٣٦- رسالة صلاة التراويح للألباني.

٣٧- تحفة الراكع الساجد للشيخ تقي الدين الحنبلي.

٣٨- إرشاد الساري للقسطلاني.

٣٩- روضة الطالبين للإمام النووي.

٤٠- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي.

٤١- الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع للسيوطي.

٤٢- أحكام الجنائز للألباني.

٤٣- تحذير الساجد للألباني.

٤٤- مدارج السالكين لابن القيم.

٤٥- الموطأ للإمام مالك.

٤٦- الإبداع في مضار الابتداع.

٤٧- مجمع الزوائد للهيثمي.

٤٨- الاعتصام للإمام الشاطبي.

٤٩- فقه السنة للشيخ سيد سابق.

٥٠- إصلاح المساجد للعلامة القاسمي.

٥١- فيض القدير للإمام المناوي.

٥٢- صفة صلاة النبي للعلامة الالباني.

٥٣- البداية والنهاية لابن كثير.

الفهرس

الموضوع الصفحة

* * *